الباب السابع

أساليب جديدة يضعها الباراسيكولوجى
فى خدمة العدل والأمن

تمهيـــد وتبويب

بعد ما ازدهرت أبحاث ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس **E.S.P** وثبتت فعلا صحة وجود ملكات عند بعض الوسطاء – تعمل عن غير طريق الحواس الخمس العادية – كان من الطبيعى أن يحاول بعض الباحثين اختبار هذه الملكات فى الإرشاد عن بعض الأدلة فى الجرائم الهامة للتعرف على مدى نجاحها .

واتضح أنها نجحت – متى توافرت لها شروط النجاح – ولو إلى حد معين يتجاوز احتمالات الصدفة . وقد جرت هذه الاختبارات فى مراكز عديدة للبار اسيكولوجى وارتبط بعضها بجامعة أوترخت **Utrecht** بهولندا وباسم من أبرز الأسماء المعاصرة فى البار اسيكولوجى وهو الألمانى تنهايف **T.Tenhaeff** .

وكانت ملكات الوسطاء فى هذه الاختبارات تتراوح بين التخاطر ، أى قراءة الأفكار **Telepathy** ، والسيكومترى **Psychometry** ، مع القدرة أحياناً على الإنباء الصحيح – بل الدقيق – عن ومضات من أحداث المستقبل **foretelling** .

وهذا يقتضينا أن نعالج موضوعات الباب الحالى فى ثلاثة فصول متتابعة على النحو الآتى :

الفصل الأول :
جولة عابرة بين التخاطر والسيكومترى .

الفصل الثانى :
التخاطر والسيكومترى فى خدمة العدل والأمن .

الفصل الثالث :
فى صلة هذه الملكات بالإحساس بالزمان وبالمكان .

الفصل الأول

جولة عابرة

بين التخاطر والسيكومترى

كلمة عن التخاطر

من تلك الظواهر المتعلقة بالإدراك عن غير طريق الحواس ظاهرة التخاطر أو التراسل العقلى ، أى تلك القدرة على معرفة ما قد يجول بداخل وعى إنسان ما من أفكار أو من مشاعر . وهذه القدرة الغريبة قد سلم بها تماماً العلم المعاصر .

وفيها يقول كارل يونج العالم السويسرى (١٨٧٥–١٩٦١) : « إن أى إنسان له أدنى معرفة بمادة الباراسيكولوجى كما هى قائمة الآن بالفعل ، وكما تم تحقيقها بعناية ، سوف يعلم أن ظواهر التخاطر telepathic phenomena تعبّر عن وقائع لا يمكن إنكارها . وإن الدراسة الموضوعية الناقدة لعمليات المسح التى تمت بشأنها كفيلة بأن تثبت أن عمليات الإدراك تحدث كما لو كانت مستقلة فى جانب منها عن المكان ، وفى جانب آخر منها عن الزمان »[1] .

ومن أهم اختبارات التخاطر فى تاريخ الباراسيكولوجى تلك التى جرت بين رائد الفضاء إدجار ميتشل Edgar Mitchell عندما كان فى سفينة الفضاء أبوللو ١٤ وبين « مؤسسة البحث فى طبيعة الإنسان »[2] التابعة لجامعة ديوك ، عندما كان يديرها الدكتور جوزيف بانكس راين J.B. Rhine . وقام علماء المؤسسة بتحليل

---

(١) عن مجموعة مؤلفات يونج . الجزء الثامن بعنوان « تكوين وديناميكية الروح » .
The Structure and Dynamics of The Psyche. London 1969 P. 413, Publisher : Routledge & Kegan Paul.

(٢) Foundation for Research on Nature of Man.

النتائج فكانت إيجابية ووفيرة[١] . وهناك اختبارات متنوعة للتخاطر جرت فى جامعات هارفارد Harvard وكامبريدج ، وأوترخت ، وفى معهد للهندسة العسكرية فى زيوريخ بسويسرا[٢] .

وهذه الاختبارات عن التخاطر لا تجرى بعناية لوجه العلم فقط ، بل لقد تبين أن لها استخدامات حربية هامة يمكن أن يستنتجها القارىء بسهولة . ولذا تنفق عليها بسخاء الآن إدارة البحرية الأمريكية . ويوجد حالياً تنافس شديد فى هذه التجارب بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ، خصوصاً منها تجارب التخاطر من مسافات بعيدة والتى تجرى بالفعل الآن بين بعض القطع الحربية وبين بعض الغواصات التابعة للدول المعنية . ولنا عند هذا الموضوع وقفة هادئة فى الباب المقبل الذى خصصناه برمته له .

كلمة عن السيكومترى

ومن الملكات الروحية أيضاً « تتبع الأثر الروحى » Paychometry أو قياسه فى الزمان أو فى المكان . ومفاده أن يعطىَ وسيط السيكومترى سلعة مملوكة لشخص ما مثل صورة أو ساعة أو قلم أو منديل . . . فيتمكن الوسيط من الإنباء الصحيح عن بعض معلومات خاصة بصاحب هذه السلعة سواء أكان حاضراً أم غائباً ، حياً أم ميتاً[٣] . ويشترط دائماً أن تكون المعلومات التى يقدمها وسيط السيكومترى تتجاوز احتمالات الصدفة بحسب قوانين الرياضة الحديثة .

وهناك اختبارات عديدة الآن فى هذه الظاهرة وقد جاءت بنتائج إيجابية تتجاوز بكثير احتمالات الصدفة ، وقد اختبرت هذه الظاهرة بنفسى فى عدة مناسبات على

---

(١) راجع فيها : René Bertrand : La Telepathie. Paris 1977 P.P. 23—38.

(٢) وأقامت بعض الشركات الكبرى بعض معامل لدراسة التخاطر : منها فى أمريكا شركتا « جنرال الكتريك » و « تليفونات بل » Bell Telephone وغيرهما . . .

(٣) واتضح أن بعض الأرواح يملك أيضاً هذه القدرة النادرة على تتبع الأثر الروحى أى السيكومترى. وأحياناً تكون قد بلغت درجة عالية عن التطور . للمزيد راجع كتاب « أصوات من الفضاء » voices from the Void للسيدة دستر ترافرز سميث . ترجمة عربية . القاهرة ١٩٧١ ص ١٢٥ — ١٤٠ (الناشر مكتبة الأنجلو المصرية) .

وسيطات أجنبيات فى مصر والخارج ، فكانت الإجابات فى كثير من الأحيان صحيحة بل مذهلة، وتثير كل صنوف الحيرة والتساؤل المشروع .

ولعل من أحسن النتائج فى اختبارات السيكومترى تلك التى وصل إليها العالم الألمانى و . هـ. ك تنهايف W.H.C. Tenhaeff الأستاذ بجامعة أوترخت Utrecht بهولندا ، وقد أسس فيها منذ سنة ١٩٥٢ معهداً باسم « معهد البار اسيكولوجى بجامعة الدولة بأوترخت »[١] . وهو يواصل فيه اختباراته منذ هذا التاريخ حتى الآن . وقد حاز تنهايف سمعة عالمية ، وأصبحت أعماله بمثابة وثائق لها وزنها فى أمور عديدة .

ومن أهم اختبارات تنهايف فى السيكومترى تلك التى أجراها على وسيط أثار الدهشة البالغة فى كل مكان يدعى جيرار كروازيه Gerard Croiset . ووجه الدهشة فى نشاط هذا الوسيط أنه لا ينبىء فقط عن بعض أحداث صحيحة لها مغزاها وقعت فى الماضى ، بل نجح — بنسب عالية — فى الإنباء عن طائفة من أحداث المستقبل التى قد تتعلق بسلعة من السلع .

السيكومترى والانباء عن المستقبل

وهذه الاختبارات تعتبر لهذا الغرض مزيجاً مركباً من السيكومترى ، ومن الإنباء الصحيح عن أحداث المستقبل fortelling ، وقد أيدت بصورة حاسمة ما سبق أن سجله بعض العلماء الفرنسيين من قدرة بعض الوسطاء على استشفاف بعض أحداث المستقبل استشفافاً صحيحاً . ومنهم العلماء مارسيل أوستى M. Osty ، وجوستاف جيلى G. Geley ، وباسكال فورتينى Pascal Fortuny وهم من أعلام « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس ، وكان أولهما وثانيهما مديرين له .

فقد ابتكر فورتينى اختباراً يوصف بأنه « اختبار المقاعد » إذ كان يختار مقعداً عادياً لا يختلف فى شىء عن سائر المقاعد التى سوف توضع فى أى اجتماع لاحق ، فكان

---

(١) Institut de Parapsychologie de l'Université d'Etat

وهو يصدر نشرة بأعماله Bulletin باللغة الانكليزية عنوانها « خطاب مبحثى Research Letter لقسم البار اسيكولوجى : المعمل الروحى التابع لجامعة أوترخت » .

الوسيط ينجح أحياناً فى إعطاء معلومات صحيحة مسبقة عن الشخص الذى سوف يجلس على هذا المقعد فى الاجتماع المقبل بعد يومين . وكانت هذه المعلومات أحياناً مذهلة من ناحية صحتها ودقتها ، ولا تترك غموضاً ما حول خصائص الشخص الذى سوف يجلس على هذا المقعد .

وكان نجاح بعض الوسطاء قوياً إلى حد دفع جانباً من القراء إلى الشك فى صحة النتائج . لكن تولى تنهايف استعادة نفس هذه الاختبارات مع جيرارد كروازيه بأسلوب متطور مستعيناً ببعض زملائه من أساتذة جامعة أوترخت فى تحقيق النتائج .

ومنها أنه بتاريخ ٧ يناير ١٩٥٧ كان يوجد فى قاعة من قاعات « معهد الباراسيكولوجى بجامعة أوترخت » سبعة وثلاثون مقعداً ، فاختار تنهايف واحداً منها مماثلا تماماً للباقين ، وأعطاه رقم «٩» ثم سجل انطباعات كروازيه الخاصة عن الشخص الذى سوف يجلس على هذا المقعد .

ولم يعط كروازيه أوصافاً شائعة أو غامضة لهذا الشخص المجهول ، بل لقد أعطى أوصافاً محددة دقيقة يبلغ عددها اثنى عشر وصفاً له تتضمن شكله الجثمانى ، بالإضافة إلى العديد من الأحداث الماضية التى مرت به أو ببعض ذويه.

ودوّن كروازيه بعض هذه الأوصاف مقدماً كالآتى : « فى يوم الجمعة أول فبراير من سنة ١٩٥٧ سوف تجلس على المقعد رقم (٩) سيدة شابة ذات حيوية ووسامة فى منتصف عمرها ، معنية بالشئون الاجتماعية ، ومهتمة كثيراً بالعناية التى يتعين بذلها للأطفال » .

ولكى يدرأ كروازيه أى احتمال للقول بالصدفة كتب أيضاً عنها ما يلى « إنها معنية بالرسم وتستخدم صندوقاً قديماً به ألوان . وجرحت فى أحد أصابع يدها اليمنى ، وشاهدت أوبرا فولستاف Falstaff بانفعال شديد ، وكانت هذه هى أول رواية أوبرا تشاهدها » .

ثم كتب ما يلى « تلقى والدها هدية من ذهب بسبب خدمات أداها . وهو جنتلمان متقدم فى السن . . . » . كما ذكر واقعة متاعب حدثت لطفلة قريبة لها عند ذهابها لطبيب أسنان .

الوسيط جيرارد كروازيه

لاحظ نظرته النفّاذة العديمة المثال ...

هل لها صلة بموهبة السيكومترى الفريدة التى يحوزها ؟

وفى اليوم التالى أعطى كروازيه مزيداً من البيانات الإضافية . وفى الأيام اللاحقة طبعوا له كل تنبؤاته عن الشاغلة المرتقبة لهذا المقعد رقم (٩) . ووضعوها فى مظاريف مغلقة وعلى كل مظروف منها رقم خاص به.

وفى يوم أول فبراير ١٩٥٧ الساعة السابعة مساء سافر تنهايف خصيصاً إلى مدينة لاهاى ومعه مساعدوه . ثم توجهوا جميعاً إلى سيدة صاحبة عمارة لا يعرفونها من قبل فسمحت لهم بإجراء اختبارات فى عمارتها . وعندئذ اختاروا قاعة خالية واسعة من الدور الأول ، ووضعوا فيها ستة صفوف من المقاعد المتماثلة تماماً يحتوى كل صف منها على خمسة مقاعد طبقاً لخطة مدروسة .

وكان تنهايف ومساعدوه قد وجهوا عدة دعوات إلى بعض معارفهم من أولئك المقيمين فى لاهاى للحضور وللإسهام فى التجربة بغير أن يعرفوا ماهيتها . ولما حضروا تسلم كل واحد منهم مظروفاً من تلك المظاريف المغلقة التى كانت موضوعة على عدة مناضد بالقاعة . وكان كل مظروف منها يحمل رقماً خاصاً .

وأخذ الوافدون يشغلون المقاعد الموجودة تباعاً ، وظل المقعد رقم (٩) وحده شاغراً بدون أى سبب مفهوم . ولم يكن هنـــاك أى رقم ظاهر عليه ، أو على غيره من المقاعد الموجودة بالقاعة :

وبعد ذلك طلب إلى الحاضرين أن يفتحوا المظاريف ويتعرفوا على التنبؤات الاثنى عشر المتعلقة بالشخص الذى سوف يجلس على المقعد الوحيد الذى كان لا يزال شاغراً . وكان كروازيه هو آخر الداخلين إلى القاعة حتى لا يتصل بأى شخص من الحاضرين .

وكان ذهول الحاضرين يفوق كل وصف عندما تبين أن السيدة التى جاءت ثم جلست على هذا المقعد رقم (٩) الشاغر تنطبق عليها جميع الأوصاف التى حددها كروازيه من قبل بكل تفصيلاتها الدقيقة المذهلة . حيث اتضح أنها سيدة وسيمة ، فى الخامسة والأربعين من عمرها .

وقد أيدت السيدة نفسها ما ذكره كروازيه عنها من أنها سبق أن تلوثت أصابعها بسبب استخدام علبة ألوان قديمة للرسم . وأنها أصيبت بجرح فى أصبعها البنصر عند فتح علبة طعام محفوظ . وأكدت أن أول رواية أوبرا شاهدتها هى أوبرا فولستاف ، وأنها انفعلت جداً من طبقة الغناء « التنور » . وأن والدها تلقى فعلا هدية ذهبية هى عبارة عن مبسم ذهبي للتدخين ، وكان ذلك بمناسبة تقاعده عن العمل ، وأنها تعرف طفلة قريبة لها انزعجت عند ذهابها إلى طبيب أسنان ، فرفضت أن تفتح فمها لعلاج أسنانها إلا بعد عناء شديد .

وكان المبنى الذى جرى فيه الاختبار غريباً على المختبرين وعلى الوسيط . فلم يكن تنهايف يعرف ولا كروازيه شيئاً من قبل عن صاحبته . وكان توزيع المظاريف المغلقة قد جرى بدوره بدون أى ترتيب معين ، فكان كل قادم إلى القاعة يتسلم مظروفاً واحداً منها كما لو كان الأمر خاصاً بأوراق « اليانصيب » . وتخطيط كل أوضاع الاختبار جرى بهدوء وبفن . وكان الهدف منه هو نفى كل احتمالات الصدفة ، أو التدليس ، أو التواطؤ . . . فجاءت التجربة حاسمة وتحمل توقيعات كل المختبرين

من أساتذة جامعة أوترخت الذين أسهموا فيها ، وخططوا لها ، ولمسوا مدى نجاحها بأنفسهم .

عن تحليل هذه الاختبارات

ويعلق الباحث الفـرنسى رينيه برتراند **Renê Bertrand** على هذه الاختبارات ، بعد فحص دقيق لمضابطها التى تسلمها من تنهايف قائلا إننا نعلم أن الباحثين فى أوروبا وفرنسا فى هذه الأمور ليسوا بدون مزايا ، لكن جامعة أوترخت هى التى عنيت بأن تضمن الصفة الرسمية لهذه الاختبارات . ونحن فى شأنها — كما فى شأن غيرها — إزاء ظاهرة تقليدية عن السيكومترى جرت عن طريق الملامسة ، لكن مع قيام فارق ضخم يميزها عن غيرها.

ذلك أن فى اختبارات « المقعد التاسع » لم يكن الأمر متعلقاً باستعادة تاريخ سابق ، بل لقد كان متعلقاً باستطلاع تاريخه المستقبل ، أى مستقبله القريب . وهذا ما أدى إلى تبسيط التقسيم الذى قامت به الجامعة بشأن الجلاء البصرى إلى جلاء بصرى رجعى **retrognitive** متعلق بحادثة مضت ، لكن يمكن أن يتحول إلى جلاء بصرى مستقبلى **prêcognitive** لحادثة سوف تقع .

ثم يقول برتراند إن مفاد هذا النوع من الاختبارات — ومفاد غيرها — هو أن أمور الماضى والحاضر والمستقبل مختلطة فيما بينها ومتشابكة . وهذا معناه أن الزمن لا يتداخل أبداً ، أو بالأدق — كما قال إدجار ميتشل **Edgar Mitchell** — « إن الزمن لم يعد له مفهوم خاص »[1] .

فالتخاطر ظاهـرة تجرى بدون أى زمن **intemporelle** . وكذلك الجلاء البصرى (إذ قد يصدق أيضاً على بعض أحداث الماضى أو الحاضر أو المستقبل بدون وجود أية ضوابط حتى الآن) .

---

(١) هو رائد الفضاء الأمريكى ، وذلك عندما تحدث عن انطباعه بعد هبوط سفينة الفضاء أبوللو ١٤ على القمر . وهو نفسه يملك موهبة التخاطر .

ثم يقول برتراند ، لقد كان لدينا إلى الآن اختبارات فى التخاطر وفى الجلاء البصرى معدة من قبل ، وبالتالى خضعت لرقابة صارمة من الهيئات العلمية فى الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وهولندا . لكن اختبارات تنهايف لها هذه المزية : وهى أنها تكوّن تحولا من حالات التحقيق المعدة من قبل provoquês إلى تلك الحالات التى تحدث تلقائياً spontanês . وقد لاحظ تنهايف ذلك ، ولذا عنى عناية خاصة بدراسة هذه الطائفة الأخيرة منها . وهى نفس الطائفة التى ينبغى أن تعتبر أوفر ثراء بالنتائج من غيرها ، وأقوى منها تأثيراً . وذلك حسبما وصل إليه راين Rhine (أمريكى)[1] ، وفاسيليف Vassiliev (سوفيتى) ، وتنهايف Tenhaeff (ألمانى) .

* * *

وفى موضع آخر من مؤلفه هذا يقول برتراند إن الأبحاث تجرى فى البار اسيكولوجى بجامعة أوترخت متبعة أساليب متطورة جداً من الرسوم البيانية ، وهو لا يريد أن يشتت ذهن القارىء بسرد التفصيلات والمقدمات العديدة ، لكنه يكتفى بسرد النتائج القائمة على أسس علمية محققة عن صحة ظواهر التخاطر التلقائية . وتأسيساً عليها فإن الجامعة تضع التعريفات والتفريعات الآتية : —

أولا : أن التخاطر هو الإدراك عن غير طريق الحواس لصور النشاط الذهنية لشخص آخر .

ثانياً أن الجلاء البصرى هو الإدراك عن غير طريق الحواس للأحداث الموضوعية .

ثالثاً : أن التنبؤ précognition هو التعرف على أحداث مستقبلة لا يمكن التعرف عليها عن طريق استخدام استدلالات منطقية .

وهذا التفريع سهل ، لكن لا يكون الأمر بمثل هذه السهولة عند وضع التعريفات . وهذه الأخيرة مؤسسة على اختبارات معمل البار اسيكولوجى بالجامعة ، أو على

---

(١) تلخيص عن رينيه برتراند . المرجع السابق ص ٦٢ — ٧٢ .

الحساب الإحصائى بالأسلوب الذى نادى به العلماء الأمريكيون ، والذى أثبت العالمان راين Rhine وسول Soal صحة أسسه .

* * *

وهذه التعريفات دفعت برتراند إلى أن يقترح تقسيماً آخر ، فالتخاطر يجب أن يقسم إلى أنواع ثلاثة :

أولا : حالات تخاطر متعاصرة Simultanês .

ثانيا : حالات تخاطر تنبؤية de Prêcognition .

ثالثاً : حالات تخاطر عن الماضى retrospectives .

والجلاء البصرى بدوره يجب أن يخضع لنفس التقسيم أى لجلاء بصرى متعاصر ، وثان تنبؤى ، وثالث عن الماضى . . . والوقائع المتعلقة بهذه الأمور كلها تكشف عن خداع الزمن لحواسنا ، والذى يبدو أنه لا يعرف جيداً الماضى أو المستقبل . أو أن نستنتج أن الزمن لا دخل له فى الأحداث ، وهو ما يبدو استنتاجاً أقوى التئاماً مع المنطق . . . وعلى مستوى المفاهيم الروحية ، لا يبدو الزمن فارضاً قوانينه على مجرى الأحداث .

فى الحالات التلقائية حدثت تنبؤات صحيحة ، كما حدثت معرفة صحيحة لأحداث الماضى إذ ما أدخلنا فيها الظواهر المسماة بالسيكومترى . وفيها يلمس الوسيط مظروف خطاب مثلا ، ثم يروى الظروف التى جرى فيها تحرير هذا الخطاب ، وأيضاً يعطى أوصافاً محددة عن راسله . وقد جرت اختبارات من هذا القبيل بجامعة أوترخت [1] .

---

(١) تلخيص عن رينيه برتراند . المرجع السابق صفحة ٥٧ — ٦٠ .

وللمزيد راجع العقيد الدكتور محمد عبد الله محمد الشلتاوى فى رسالته القيمة عن « موقف الشرائع الحديثة من الخطورة الجنائية » جامعة عين شمس . مارس ١٩٨٩ ص ٤١٧— ٤٢٠ ، ٩٣٢ — ٩٤٩ .

اختبارات مماثلة حديثة فى أيسلندا

هذا وقد أجرت « جمعية البحث الروحى »[١] فى أيسلندا Iceland اختباراً علنياً مماثلا لاختبارات العالم الألمانى تنهايف بجامعة أوترخت Utrecht بهولندا بشأن ظاهرة السيكومترى التى سبق الحديث عنها آنفاً .

فقد وجهت هذه الجمعية الدعوة إلى وسيط بريطانى فى الجلاء البصرى يدعى روبين ستيفنز Robin Stevens لحضور احتفالاتها بمضى سبعين عاماً على إنشاء « الاتحاد الدولى للروحيين » I.S.F ، وهو يرأس حالياً هذا الاتحاد .[٢]

وأشرف على هذا الاختبار باحث أيسلندى اسمه بيل لانديس Bill Landis وجرى علناً فى فندق لند Lind بالعاصمة الإيسلندية ريجافيك Reykjavik فى حضور حوالى مائة وأربعين شخصاً من المشاركين فى هذا الاحتفال التذكارى .

وقبل يوم واحد من التجربة قام اثنان من المختبرين باختيار مقعدين عاديين من بين المقاعد المعدة لجلوس المحتفلين . ووضعا أسفلهما علامتين مميزتين غير ظاهرتين .

وقبل أربع ساعات فقط من بدء الاختبار وضع ستيفنز عشرين بياناً عما يتوقعه من صفات الشخصين اللذين سوف يجلسان على هذين المقعدين . وسلمها للمختبر بيل لانديس فى مظروف مغلق . ومن هذه البيانات مثلا : أن شاغلة المقعد الأول سوف تكون فتاة شابة ، وترتدى رداء أحمر اللون ، وهى شخصية نشطة ، لها صلة بالشاطئ الشرقى من أمريكا ، وبمدينة دالسيمنى Dalsymni (وقد اتضح فيما بعد أن هذه الفتاة قد ولدت بها) .

كما ذكر الوسيط أن كلمة هافديس Hafdis لها صلة بالاختبار (وقد اتضح فيما بعد أنه اسم هذه الفتاة) .

وعن المقعد الثانى قرر أنه سوف يجلس عليه شاب يتراوح عمره بين ١٨ و ٢٠

---

(١) Society For Psychical Research.

(٢) Internaltional Spiritualist Federation.

عاماً ، وطوله يتراوح بين خمسة وثمانية أقدام ، وصاحب شعر قصير أشقر . ويرتدى زياً رمادى وأبيض اللون ، ومن طراز إيطالى . و « بنطلون » جينز أزرق اللون .

وبيانات أخرى محددة وضعها الوسيط فى مظروف مغلق قبل بدء الاحتفال وسلمها للمختبر بيل لانديس كما سبق القول .

وعندما انعقد الحفل اتضح أن الوسيط ستيفنز نجح فيما يوازى ٩٠ ٪ من البيانات التى كان قد وضعها مقدماً فى هذا المظروف المغلق، وكان ذلك بين تعجب الحاضرين وحيرتهم . كما نجح أيضاً فى تقديم عدة عروض ناجحة عن الجلاء البصرى لعدد كبير من الحاضرين على النحو المتبع عادة فى مثل هذه الاجتماعات[١] .

* * *

ولا يتسع المقام الحالى للاستطراد كثيراً فى سرد بعض الاختبارات الناجحة الأخرى فى مجال التخاطر والسيكومترى . وإنما قد اقتصرت هنا على إعطاء القارئ فكرة عامة عن ماهية هذه الظواهر التى تعالجها — بإفاضة كافية — المراجع المعتمدة فى الباراسيكولوجى . ومنها المطبوعات ، والنشرات Bulletins ، والجرائد الدورية التى أشرت إلى بعضها فى مناسبة سابقة .

ومنها مثلا « جريدة الباراسيكولوجى » الأمريكية ، ونظيرتها « الجريدة الأوروبية للباراسيكولوجى » ، ثم « الجريدة الدولية للباراسيكولوجى » . وكلها تصدر عن هيئات علمية لا يعنيها أمر آخر غير رسالة التحقيق الموضوعى المتميزة تماماً عن الأهداف المالية أو التجارية[٢] .

ولعل فى هذا القدر ما يكفى للانتقال إلى الفصل الثانى المخصص للحديث فى كيفية وضع « التخاطر والسيكومترى فى خدمة مرفقى العدل والأمن » .

---

(١) عن جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News . عدد ٨ أبريل ١٩٨٩ ص ١ ، ٤ .
(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

الفصل الثانى

التخاطر والسيكومترى

فى خدمة العدل والأمن

صفحات من رسالة دكتوراه

تجرى الآن اختبارات موسعة فى مراكز عديدة للإفادة من الملكات الروحية كلها ، ومنها بوجه خاص التخاطر والسيكومترى والتنويم المغناطيسى والجلاء البصرى ، فى خدمة مرفقى العدل والأمن عن طريق محاولة الإرشاد الصحيح عن الجناة ، أو عن مصير الأشخاص الغائبين أو المفقودين، أو عن مكان وجود الأشياء المسروقة ، أو الضائعة ، أو المحظورة .

وفى هذا الشأن يجمل بى أن أضع أمام بصر القارئ بعض صفحات من رسالة قيمة حديثة عنوانها « مشروعية الدليل فى المواد الجنائية » قدمت للمناقشة من الدكتور أحمد ضياء الدين محمد خليل أمام كلية الحقوق بجامعة عين شمس فى سنة ١٩٨٢ وها هو بعض ما ورد فيها :

« مما لا شك فيه أن أبحاث البارا سيكولوجى قد لقيت فى عصرنا الحاضر اهتماماً متزايداً فى جميع الدوائر العلمية ، ومنها بوجه خاص دوائر المعنيين بكشف أغوار النفس البشرية إلى أبعد مدى ممكن . ولقد كشفت تلك الأبحاث عن نتائج غاية فى الأهمية أثرت تأثيراً واضحاً فى مناهج البحث واهتمامات العلماء ، وأدت بهم إلى إعادة النظر فى كثير من معطياتهم العلمية سواء فى نطاق العلوم المادية أم فى نطاق العلوم الإنسانية .

وعلى رأس الطائفة الأولى توجد الفيزياء والبيولوجيا والطب ، وعلى رأس الطائفة الثانية يوجد علم النفس والفلسفة والأخلاق . وقد أسفر ذلك فى نهاية الأمر عن استخدام تلك النتائج على نطاق واسع فى تشييد معطيات جديدة لكل هذه العلوم تتميز

عن معطيات الماضى البعيد أو القريب بأنها لا تعتمد فى شىء على محض الارتجال أو الافتراض أو الاعتراض ، بل تعتمد على الحقائق الوضعية للوجود كما تكشفت عنها جهود العلماء .

إلا أن ذلك لا يعنى إطلاقاً زوال أو انتهاء موجة الشك أو التردد فى قبول تلك النتائج ، غاية ماهنالك أن ذلك الشك سرعان ما يتبدد أمام ما يقدمه العلم من حجج قاطعة لا يمكن العقل تجاهها إلا الانصياع لندائها ، والرضوخ لصحيح منطقها . ورغم ذلك التطور وما أسفر عنه من نتائج فما زلنا وكذلك كافة الدول النامية بعيدين عن الأخذ بها ، رغم ما ألفناه دائماً من محاولة اللحاق بالركب العلمى العالمى فى سائر المجالات الأخرى ، خاصة ما يتصل منها بالطب وعلم النفس ، وهذا على نقيض ما يقتضيه منطق شرقيتنا وعراقة حضارتنا الروحية .

إلا أنه ليس هناك سبب واحد مقبول لتبرير هذا الجمود العلمى سوى أن العديدين لا يزالون يجهلون موضوعه الحقيقى ، لذا يقاومونه بلا اطلاع ولا دراسة ، لأن الناس بطبيعتهم أعداء لما جهلوا ، حتى ولو كان هذا الأمر الذى يجهلونه بمقدوره أن يقدم لهم أجل الخدمات المعنوية والمادية .

وذلك بالإضافة إلى ما تستلزمه أبحاث ذلك العلم بالذات من تكاليف باهظة للغاية نتيجة لارتباطها بالعديد من العلوم الأخرى التى يتعين ضرورة تسخيرها بكافة إنجازاتها وإمكانياتها لخدمته . علاوة على أن هذا كله رهن فى النهاية بضرورة وجود طبقة من العلماء والمتخصصين ذوى الكفاءات العالية ، مع ضرورة الاقتناع بجدوى وأهمية هذه البحوث ، وتمتعهم فى الوقت نفسه بقدر من التحمس لإجراء مثل تلك البحوث سواء انطلاقاً من رغبتهم فى شهر اعتقادهم بوجودها أو صحتها ، أم حاجتهم لتأييد إنكارها ودحض نتائجها .

ومع التسليم بنتائج ذلك العلم ، ومن ثم قبول قدرته على إثبات وتعليل تلك الوسائل غير المألوفة ، يبرز لدينا تساؤل هام يطرح نفسه على بساط بحثنا هذا يتعلق بمدى إمكان الاستفادة من تلك النتائج فى مجال البحث الجنائى بصفة عامة . أو بعبارة أخرى

هل يمكن أن تؤدى تلك القدرات أو الوسائل — بصورتها وأسلوبها العلمى الصرف — أى دور فى مجال الكشف عن حقيقة الواقعة الإجرامية المرتكبة أم لا ؟ .

ويتعين قبل التصدى للإجابة عن هذا التساؤل ضرورة البحث ابتداء عن ماهية المبررات أو الأسباب التى قد يتحتم معها ضرورة اللجوء إلى تلك الوسائل والاستعانة بها فى هذا المجال ، رغم ما قد تثيره من صعاب ترجع إلى طبيعتها وما تتميز به من مشقة هائلة ، ناهيك عما قد يوجه إليها من نقد .

ونرى من جانبنا أن أهم تلك الأسباب أو المبررات تكمن أساساً فيما قد يتمخض عنه استخدام الوسائل العادية من فشل ذريع فى الوصول إلى شخص الجانى ، وكشف حقيقة الواقعة المرتكبة . الأمر الذى يصيب العدالة والمجتمع بأسره بخيبة أمل لا يخفف من وطأتها سوى الحرص على حماية وصيانة الحريات الفردية ، ومن ثم عدم التعرض للأشخاص إلا إذا وجدت دلائل أو شبهات تبرر ما يتخذ قبلهم من إجراءات . ولعل ما تحويه حياتنا القضائية من أمثلة كثيرة على صدور أوامر لحفظ دعاوى لم يتم التوصل فيها لشخص الجانى ، لخير شاهد على صحة وأهمية تلك الأسباب الدافعة للجوء إلى مثل تلك الوسائل .

عن نتائج بعض الاختبارات بجامعة أوترخت

ولم يحل ذلك الرفض أو تلك المكابرة دون وجود العديد من الأمثلة التى قدم فيها بعض الوسطاء الروحيين خدمات جليلة للعدالة ، نذكر منها تلك الواقعة التى كشف فيها ماثيو مانينج Matthew Manning فى كتاب « الاتصال بين عالمين » من غموض حادث قتل المدعو جورج لاينغ بالمملكة العربية السعودية ، أو تلك المجهودات الضخمة التى قام بها الوسيط المعاصر جيرار كروازيه لمساعدة السلطات فى استجلاء غموض حوادث قتل واختفاء أشخاص عديدين وسرقات وغيرها من مختلف أنواع الجرائم التى وقعت فى ألمانيا ، وهولندا ، وبلجيكا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة ، وغيرها من البلاد .

ويستخدم كروازيه وغيره من الوسطاء فى سبيل الكشف عن غموض تلك الجرائم

ما يتفوقون فيه من قدرات ترجع إلى ظاهرة أو أكثر من تلك الظواهر . وإن كانت فى غالبيتها تعد من تلك ذات الطبيعة العقلية ، وفى مقدمتها الجلاء البصرى والسمعى والحسى والكتابة التلقائية ، والطرح الروحى ، وتفوهات الغيبوبة ، وتعقب الأثر الروحى أو السيكومترى (١) .

إلا أن جيرار كروازيه بالذات قد برع فى ظاهرتى الجلاء البصرى والسيكومترى . ولعل أهم ما حققه من نتائج ، يكمن فى تلك الاختبارات التى أجراها عليه العالم الألمانى و.هـ.ك. تنهايف W. H. C. Tenheiff الأستاذ بجامعة أوترخت بهولندا .

ووجه الدهشة فى نشاط هذا الوسيط أنه لا ينبئ فقط — عن طريق السيكومترى — عن بعض أحداث صحيحة وقعت فى الماضى بل نجح — بنسبة عالية — فى الإنباء عن بعض أحداث المستقبل التى قد تتعلق بسلعة ما لشخص معين . ومن أهم اختبارات تنهايف على كروازيه فى هذا المجال تلك المعروفة باختبارات المقاعد . على أن كروازيه

---

(١) يقصد بالطرح الروحى تلك الظاهرة التى تجمع بين الجانب العقلى من ناحية أنها قد تستتبع القدرة على الجلاء السمعى أو البصرى وقد تستتبع القدرة على الكتابة التلقائية . كما تجمع بين الجانب الفيزيقى من ناحية أن الجسد الأثيرى المطروح خارج الجسد المادى قد يكون منظوراً من بعض وسطاء الجلاء البصرى ، بل قد يمكن تصويره بالاستعانة بالأشعة دون الحمراء خصوصاً فى غيبوبة التنويم المغناطيسى (راجع ما ورد فيما سبق فى ص ١٨٤) وهو يستدعى دائماً غيبوبة الوسيط ، ولا يكون صحيحاً إلا إذا جاء الوسيط ببيانات صحيحة ودقيقة عن المكان الذى طرح فيه وأمكن التحقق من صحتها باساليب التحقيق العادية المحايدة . أما السيكومترى فيقصد به قدرة بعض الوسطاء على الإرشاد إلى معلومات صحيحة عن طريق الإمساك بسلعة من السلع المملوكة لشخص ما . وهى ظاهرة وساطية بحتة باساليب علمية شتى ، ويتعذر تعليلها إلا بوجود اهتزازات تنبعث من شتى السلع وقد تظل عالقة بها لآماد مختلفة .

ووسيط السيكومترى عندما يمسك بسلعة مملوكة لشخص معين مثل قلم أو ساعة . . . قد يشعر بانطباعات ذهنية خاصة تتراوح فى مدى وضوحها وفى دلالتها . ويأخذ فى رواية هذه الانطباعات التى تبين بأحصائيات دقيقة أنها قد تصيب وقد تخطىء ، ولكن نسبة الصواب تجاوزت فى بعض الأحايين النسب التى تسمح بها قوانين الصدفة المعروفة عند الرياضيين . كما تبين من بعض الجلسات الروحية أن هناك أرواحاً تتمتع بملكة السيكومترى هذه بشكل أوضح مما قد يحوزه بعض الوسطاء .

وللمزيد من التفصيل حول تلك الظاهرة راجع « كتاب أصوات من الفضاء » Voices From the Void للسيدة هستر ترافرز سميث H. T. Smith تقديم سير وليام باريت مدير جامعة دبلن وعضو « الجمعية الملكية » وبوجه خاص الفصلين السادس والسابع . وله ترجمة عربية . الناشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١ ص ١٢٥ — ١٤٠ .

— الذى كان يبلغ من العمر خمسة وستين عاماً ويتمتع بعيون مغناطيسية — كان أحد سبعة وأربعين وسيطاً (ستة وعشرون رجلا وواحد وعشرون امرأة) حجم من أجرى عليهم تنهايف أبحاثه فى عام ١٩٢٦ .

* * *

ولقد استطاع كروازيه أن يرشد عن متهم فى جناية شروع فى قتل بضربة مطرقة على رأس المجنى عليها وقعت فى ٥ ديسمبر عام ١٩٤٦ فى حوالى الساعة ٦ م . ذلك أنه عندما تسلم هذه المطرقة تلقى انطباعات مختلفة كثيرة لتداولها بين أيدى عديدة عقب العثور عليها بمعرفة سلطات البوليس ، التى كانت قد عجزت عن الوصول إلى الجانى لعدم قدرة المجنى عليها عن تقديم أية بيانات أو معلومات تساعد فى الوصول إليه .

إلا أن كروازيه قد عاد وأكد أن الجانى يبلغ من العمر ثلاثين عاماً تقريباً ، وهو طويل القامة ، ذو ملامح عدوانية وذو تشويه بأذنه اليسرى ، ويتردد كثيراً على كوخ يقيم فيه شخص يبلغ الخامسة والخمسين ، وهو صاحب المطرقة المضبوطة ، واشتراها من تاجر مصاب بالتهاب رئوى ، وكل هذا قد ثبتت صحته فيما بعد . ووصلت التحريات بتاريخ ٢ يونية ١٩٤٧ إلى معرفة قاطن الكوخ ، وحكم بإدانة المتهم عقب اعترافه تفصيلا بالحادث وكيفية ارتكابه له بعد مواجهته بكافة ما توافر لدى البوليس من معلومات أمده بها كروازيه الذى تلقى نتيجة لمجهوداته خطاب شكر من عمدة المدينة[1] .

وفى مايو ١٩٤٩ استطاع كروازيه أيضاً أن يقدم أوصافاً دقيقة وتفاصيل محددة لصاحب هيكل عظمى قد عثر عليه فى مدينة روتردام . وعن كيفية حدوث وفاته التى تمت بضربة على رقبته مما حطمها تماماً . مضيفاً أن القتل لم يتم فى مكان عثور البوليس

---

(١) هذا ولقد اختتم المحقق تقريره الذى قدمه لمعهد البارا سيكولوجى فى لندن مضمناً إياه العبارة التالية « إن جيرار كروازيه استطاع أن يمد البوليس بمعلومات ذات قيمة ساعدته فى الوصول إلى دليل إدانة المتهم » انظر فى تفصيل ذلك الحادث ، ووقائع أخرى كثيرة عن نشاط ومجهودات كروازيه فى مجال مساعدة العدالة فى كشف غموض العديد من الجرائم فى كثير من دول أوربا :

Jack Harrison Pollack : Croiset the Clairvoyant New York 1969 .

على ذلك الهيكل ، وإنما قد ارتكب الحادث فى مكان آخر نقلت منه الجثة إلى المكان الذى عثر فيه على ذلك الهيكل ، وقد تأكدت سلطات البوليس بعد ذلك بتحرياتها من صحة تلك المعلومات .

وفى عام ١٩٥٨ ارتكب فى ولاية أوهايو الأمريكية حادث قتل لسيدة تدعى مارلين شبرد . وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجها دكتور شبرد الذى انتهت إجراءات محاكمته إلى صدور حكم بإدانته فى جريمة القتل تلك ، وبحبسه لمدة عشر سنوات . إلا أن دفاع المتهم — الذى اقتنع ببراءة موكله — حاول جاهداً تلمس أى سبب للبراءة ، فأرسل لكروازيه بعض أشياء القتيلة للاستعانة بها فى كشف ما يعترى ذلك الحادث من غموض ، وذلك بأمل التعرف على شخص القاتل الحقيقى .

وبالفعل قرر كروازيه — الذى كان يقيم خارج الولايات المتحدة ولا يدرى أى شىء عن الحادث — بأن تلك الأشياء مملوكة لسيدة شابة وجميلة قد قتلت فى منزلها الذى تقيم فيه مع زوجها فى مدينة كبيرة بالولايات المتحدة ، بواسطة رجل ذى شعر كثيف ومجعد . وهو ما لا ينطبق إطلاقاً على زوجها المتهم والمحكوم عليه ، بل ويطابق تماماً ما قرره شاهدان فى الحادث من رؤيتهما فى محضر التحقيق لشخص بمثل تلك الأوصاف ، خارجاً من مكان الحادث عقب ارتكابه . تلك الشهادة التى لم يعول عليها حكم الإدانة لعدم قدرتهما على إيجاد أى قدر من الصلة بين صاحبها وبين المجنى عليها . وهو ما ينطبق أيضاً على نفس الأوصاف التى قررها — ومازال حتى صدور الحكم عليه — الزوج المتهم .

إلا أن جهود الدفاع لم تفلح فى إقناع المحكمة بأسباب تلك البراءة ، حيث رفض الطعن الذى قدم فى ٥ مايو ١٩٦٥ ، وإن كان كروازيه ، عندما أتيحت له فرصة أخرى لإبداء رأيه بإعادة فحصه لأشياء أخرى للقتيلة ، قد أصر على براءة الزوج المتهم وتأكيده لنفس أوصاف القاتل كما أبداها من قبل . وقد تسبب ذلك كله فى إصابة الرأى العام بمرارة كبيرة ليقينه من براءة ذلك الزوج المنكوب[1] .

* * *

(١) راجع فى ذلك : Harrison : op . cit. I P 81 s.s.

ثم يستطرد الأستاذ جاك هاريسون فى تقديم مثال آخر لجريمة قتل ساعد فيها كروازيه سلطات البوليس فى التعرف على شخص الجانى بعد أن كان قد فشل فى الاهتداء إليه. ذلك أنه فى عام ١٩٥٤ وأثناء زيارته مع الأستاذ تنهايف ومعهما كروازيه لمعهد البار اسيكولوجى فى لندن طلب البوليس الاستهداء برأى كروازيه فى قضية غامضة تتلخص فى حادث قتل واغتصاب لفتاة انجليزية . وقدم البوليس لفافة بها ملابس القتيلة وعليها آثار بقع دماء جافة . ولم يتردد كروازيه فى تقرير أن الوفاة قد حدثت نتيجة للضرب ، ثم أعطى وصفاً تفصيلياً لكيفية ارتكابه وأوصافاً دقيقة لشخص الجانى ، مما ساعد البوليس فى النهاية إلى الاهتداء إليه[1] .

وخلاصة القول إن كروازيه بالذات قد قدم للبوليس ، ليس فى هولندا فقط ولكن فى حوالى ست دول أوربية من بينها الولايات المتحدة وانجلترا ، خدمات جليلة تفوق الحصر ساعد فيها على كشف غموض كثير من الجرائم وفى إرشاد العديد من الأهل إلى ذويهم المفقودين ، وفى العثور على مفقودات ثمينة . وذلك بفضل قدراته غير العادية ومايتمتع من إمكانات غير مألوفة خاصة باستخدامه لظاهرة السيكومترى ، أى قياس الأثر الروحى . وتحوى معاهد البار اسيكولوجى فى تلك الدول جملة تقارير توضح إنجازاته فى هذا الصدد تفصيلا ، وما شارك به من جهود لا يمكن أن تقدم الصدفة أى تفسير لنتائجها .

ومن أمثلة تجارب تنهايف التى من المحقق استعانته فيها بكروازيه الذى لم يرد ذكر اسمه لعدم إزعاجه أكثر من ذلك ، محاولته الاستهداء عن أسباب غيام غلام عن منزله بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٥٣ ، وعدم عودته إليه رغم مرور يومين على ذلك . ولم يستطع البوليس العثور عليه ، وقد أخبر الوسيط تنهايف بأن هذا الغلام قد سقط من على دراجته القديمة . وبالفعل قد تأكد ذلك حيث قد عثر عليه بعد ذلك ببضعة أيام فى ناحية دينان ببلجيكا وقد تحطمت دراجته تلك ، مما حال دون إمكان عودته إلى منزله فى الميعاد .

---

(١) راجع هاريسون المرجع السابق ص ٨١ وما بعدها .

كما نجح الوسيط أيضاً فى الإرشاد عن مكان إخفاء أشياء مسروقة ، ومنها بوجه خاص سوار ثمين من الماس اختفى بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٥٥ من أحد محلات المجوهرات ، وعجزت التحريات العادية عن الوصول إلى مكانه ، ثم أعيد السوار إلى مكانه فى فترينة محل المجوهرات بصورة مريبة . وفى ٥ يوليو من نفس العام أمسك الوسيط بهذا السوار ، ثم أعطى عن هذه الواقعة البيانات الآتية : الذى أخذ السوار ثم أعاده ليس موظفاً من موظفى المحل الذين اتجهت إليهم الشبهة ، بل هو شاب يبلغ من العمر حوالى اثنين وعشرين عاماً ضخم الجثة ، أحدب نوعاً ما ، يرتدى رداء رمادياً قاتماً . وهو ينتمى إلى أسرة طيبة ، وصاحب سمعة نقية ، لكنه سبق اتهامه فى سرقة وأفلت منها لعدم كفاية الأدلة ، وقد أمكن معرفة هذا الشخص واعترف بواقعة أخذ السوار ثم إرجاعه فيما بعد .

عن مشروعية الاثبات بهذه الوسائل

تتلخص أساساً وجهة نظرنا[1] حول مدى جدوى استخدام تلك الوسائل الوساطية فى الكشف عن ألغاز الجرائم الغامضة ، وفى التوصل إلى معرفة الجانى ، فى ضرورة التسليم ابتداء بصحة وجود مثل تلك الملكات وذلك إذا ما صدقت فى قدرتها . وأيضاً فى قبول تبريرها من الوجهة العلمية ، ومن ثم انهيار كافة أوجه النقد التى قد توجه إليها . ويتركز السبب الرئيسى فى الاعتراض عليها — رغم ذلك كله — فى مجرد التردد فى التسليم بها والاعتراف بنتائجها تحت ستار من الحجج الواهية التى تعكس فى النهاية الخوف مما قد تسفر عنه من أخطاء قد تؤدى إلى إدانة الأبرياء .

ولكن ذلك كله مرفوض تماماً ، فكافة وسائل الإثبات لا تخلو من نسبة للخطأ فى نتائجها ، ولا توجد وسيلة واحدة تؤدى إلى نتائج مؤكدة تماماً تخلو من أى احتمال للخطأ . بل إن تلك الوسيلة فى ذاتها تتميز فى حقيقتها بعدم تدخلها — سواء بصورة

---

(١) أى وجهة نظر الدكتور أحمد ضياء الدين صاحب هذه الرسالة ، وهى وجهة نظر سليمة وليس فيها ما يغاير أحكام القانون الإجرائى ؛ لأنه ليس فيها ما قد يمس حرمة الشخص أو المسكن .

مباشرة أو غير مباشرة — فى نطاق الحياة الخصوصية للأفراد ، أو تسببها فى إحداث أى قدر من الاعتداء على كرامتهم أو كرامة القضاء .

* * *

ونخلص بذلك إلى أن قبول تلك الوسائل وتقرير مدى مشروعيتها هو فى نهاية الأمر مثل بقية وسائل الإثبات الأخرى ، وبضرورة إحاطتها بالقدر اللازم والضرورى من الضمانات التى تحول دون انحرافها أو إساءة استخدامها . والتى قد يؤدى تجاهلها إلى البعد بها عن نطاق الموضوعية الواجب توافره فى كافة وسائل الإثبات الجنائى . ويمكن لنا القول بأن هذه الضمانات تتوافر فيها بالتأكيد من خلال معيارنا المقترح بقبول الأدلة العلمية بصفة عامة ، مع ضرورة مراعاة — علاوة على ذلك — القواعد الآتية لضمان تحقيق المزيد من الموضوعية فى تلك الوسائل ، وذلك نزولا على ما تقتضيه طبيعتها الخاصة من ضمانات :

١ — أن يكون البحث الجنائى بوسائل الإثبات العادية قد عجز عن كشف ما يحيط بالجريمة المرتكبة من غموض وانتهت فيها إلى ضرورة كف البحث لعدم جدواه رغم أهمية تلك الجريمة ، وذلك بالنظر إلى ظروفها أو آثارها .

٢ — البدء فى التفكير باللجوء إلى وسيط روحى مشهود له بالنزاهة والقدرة وصحة ما يملكه من ملكات خاصة سبق التيقن من قدرتها وكفاءتها فى أمور ووقائع مماثلة ، على أن تنحصر مهمة الوسيط الأساسية — وهذا بالفعل ما لمسناه فى كل ما قدمناه من أمثلة — فى إعطاء أجهزة البحث والتحرى الخيط الأول اللازم لكشف غموض تلك الجريمة .

٣ — أن يسفر إعمال الوسيط لقدراته تلك عن تقديم أدلة قادرة على إحداث وتسبيب حالة اليقين القضائى لدى القاضى ، كأن تؤدى مثلا إلى الإرشاد عن مكان إخفاء جثث القتلى ، أو أشياء متعلقة بالجريمة ، أو تفيد فى الكشف عنها بالفعل .

٤ — التسليم بضرورة قبول تلك الوسائل وما تؤدى إليه من نتائج لن يؤدى إطلاقاً إلى إهدار للعدالة ، أو يسبب أى انتهاك لحريات وحقوق المواطنين مادام أن الأمر مرده

فى النهاية — شأنه فى ذلك كبقية الأدلة كلها — إلى محض تقدير واقتناع القاضى لوقائع القضية ككل .

ولذلك فإن إرشادات هؤلاء الوسطاء لا تكفى بمفردها كأدلة لها وزنها فى الدعوى ما لم تؤد للتوصل إلى قرائن لها قيمتها الإقناعية ، وتتوافق مع باقى ظروف الواقعة المرتكبة توافقاً تاماً ومقنعاً. هذا من ناحية قبولها وقيمتها، أما من ناحية مشروعيتها فلا نجد أى سبب يمس هذه المشروعية ، طالما كانت الاستعانة بالأسلوب الوساطى لا تمس النظام العام ، ولا تنال من حرية أى إنسان ولا من حرمة شخصه أو منزله . والعبرة فى النهاية ينبغى أن تكون بمدى مطابقة نتائج هذا الأسلوب مع باقى الأدلة الأخرى العادية الموجودة فى الدعوى[1] .

---

(١) عن رسالة « مشروعية الدليل فى المواد الجنائية » ١٩٨٢ المرجع السابق ص ٨٩٦ — ٩٠٧ . وللمزيد راجع : اللواء د. حسين محمود إبراهيم فى رسالته القيمة عن « الوسائل العلمية الحديثة فى الإثبات الجنائى » . جامعة القاهرة ١٩٨١ ص ٢٥٣ — ٢٥٩ .

والأستاذ راجى عنايت فى كتاب عنوانه « رجل يعرف كل الأسرار » (١٩٨٧) ص ٢٥ — ١٥٧، وتجد فيه وقائع عديدة استعانت فيها أجهزة الشرطة فى الخارج ببعض الموهوبين من ذوى الملكات الوساطية .

الفصل الثالث

صلة هذه الملكات

بالإحساس بالزمان وبالمكان

هذه الملكات الوساطية النادرة الغريبة تبحث الآن فى نطاق البار اسيكولوجى من ناحية ناحية عزلة حواسنا « المادية » عن طاقاتها الحقيقية فى الإحساس بهذه الأبدية ، ككل شامل يطوى المكان و الزمان معاً فى إحساس واحد لا يتجزأ : هو القدرة على الإحساس بهذا الخلود فى « المكان و الزمان » غير المحدود[1] .

و هذا الإحساس لا يكون عن طريق الحواس المادية ، أى عن طريقها عندما تكون محكومة بأغلال الأعضاء المادية ، بل عن طريق الحواس الروحية التى تتجمع فى النهاية فى حاسة روحية واحدة تجمع بين القدرة على النظر و السمع و الشم و اللمس و الذوق . و هذه هى قدرة الروح ، هذا القبس الإلهى المتخفى فى الجسد ، الكامن وراء وظائف أعضائه كلها ، فى حكمها على الأمور سواء عندما يكون صادقاً صحيحاً أم عندما يكون مشوهاً مبتوراً .

عن اختلاط الإحساسين معاً

و هيهات للحكم على أى أمر من الأمور أن يكون صادقاً صحيحاً إلا عندما يمكنه أن يدمج الإحساس بالزمان مع الإحساس بالمكان فى شعور واحد لا يتجزأ . فإنه عندئذ يمكنه أن يدرك الأشياء أقرب إلى حقيقتها من إدراكه السابق لها ، و أن ينعم

---

(١) راجع ما سبق فى صفحة ٥٠ – ٦٨ .

بصحة هذا الإدراك ما شاءت للعقل قدرته على الإدراك ، وللحواس قدرتها على الإحساس .

ولذا فإن حكم العقل على الأمور يمكن أن يتقدم كثيراً بمغادرة المستوى المادى للاندماج فى مستوى جديد من الإحساس المتعاصر بالزمان والمكان متداخلين معاً . ذلك أن طريق الارتقاء عن هـذا السبيل لا يكاد يحده حد من زمان ولا من مكان بعد زوال هذين العائقين الضخمين فى المستوى المادى ، وانتهاء دورهما فى إعاقة العقل عن الإدراك الصائب ، والحواس عن الإحساس الطليق بالحياة فى أرحب صورها وأعمق مشاعرها . فليس لنا إذاً أن نخشى الموت من هذه الناحية ، بل الأولى أن نتمناه ، وأن نتطلع إليه شغوفين متى عرفنا حقيقته ومغزاه .

وبالتالى فإن فهم اندماج المكان والزمان — وهما مرتبطان معاً ارتباطاً لا يقبل انفصاماً — يحتاج إلى قدرة خاصة على تصور الأمور التى تغاير أمور حياتنا الراهنة ، وتغاير تماماً ما ألفته حواسنا فى حالتها الحاضرة . وإذا كان قياس الزمان أو المكان هنا لا يثير صعوبة تذكر ، خصوصاً بعد استخدام وسائل القياس المادية للوقت وللمسافة ، فإن الأمر هناك جد مختلف لانعدام الإحساس بالزمان والمكان منفصلين ، وظهور الإحساس بالحالة بدلا منهما .

فإذا طلبت من أى روح أن تحدد لك مثلا موقع مدينة أو منزل هناك فقد طلبت منها أمراً محالا ، وكذلك إذا طلبت منها أن تحدد لك زمن واقعة معينة من وقائع عالم الروح أو المادة ، وذلك ما لم ترتبط هذه الواقعة « المادية » بأقيسة المكان أو الزمان المعروفة عندنا .

عن قياس الزمان والمكان

فهى تجد فى قياس الزمان والمكان معاً صعوبة ضخمة ، لأنه ليست لديها مثل وسائل القياس المادية التى لدينا . وهى فى غير حاجة إلى قياسهما باستمرار ، كما نفعل نحن فى عالمنا المادى ذى الأبعاد الثلاثة . وقد تلجأ إلى محاولة قياس الزمن فى الماضى أو المستقبل بحسب أقيستنا إذا طلب منها ذلك أحد من المختبرين لتحقيق موضوع

معين ، أو لتعرف تاريخ واقعة معينة بحسب تقاويمنا الأرضية . وهى قد تصيب فى ذلك وغالباً تخطىء ، وقد يكون خطؤها جسيماً أو يسيراً .

وهذه الحقيقة تعلل الكثير من أخطاء الأرواح وتنفى عنها قدرة معرفة المستقبل على وجه مطلق ودقيق ، كما قد يتصور البعض خطأ . فالمستقبل بالنسبة لها أمر مجهول . والتنبؤ بأحداثه ليس أكثر من توقع أمر له مقدماته الحاضرة التى ينبغى أن تؤدى إلى نتائجه المحتملة ، والتى قد تتحقق أو لا تتحقق بحسب الأحوال ، كما نفعل نحن بالضبط .

غاية ما هنالك أن بعضها قد يملك من عناصر التوقع الصحيح لأحداث المستقبل أكثر مما قد نملك منها فى المألوف من الأمور ، ولاطلاعه أحياناً على حقائق عن الحاضر قد نجهلها ، بسبب اعتبارات المكان والزمان التى قد تتوافر هنا ولا تتوافر هناك . أو بالأقل قد لا تتوافر هناك على نفس الصورة التى نعرفها هنا ، بالنظر إلى قدرة الروح على الانتقال بسرعة الفكر ، وبالنظر إلى قدرتها أحياناً على قراءة الأفكار قبل أن تخرج إلى حيز التعبير أو التدبير . بل إلى قدرة بعضها على الحكم الصحيح على أخلاق الناس ومستواهم من تطور العقل أو الأخلاق ، عن طريق الفحص المحتمل لهالاتهم ولأجسادهم الأثيرية .

* * *

وكل هذه أمور قد تساعد بعض الأرواح أحياناً على أن يكون تنبؤها بأحداث المستقبل أقرب إلى الواقع من تقديرات الأرضيين ، وذلك بالإضافة إلى تخلص الأرواح الراقية من قيود أخرى كثيرة قد تعوق صحة تقديراتنا ، خصوصاً عندما تكون الروح على درجة كافية من الحكمة ونضج العقل . وكثيراً ما تفضل الروح الناضجة العقل عدم القيام بأية محاولة للتنبؤ أو لتوقع أحداث معينة مستقبلة رعاية لاعتبارات معينة تفهمها هى ، حتى إن عجزنا عن فهمها ، وترى أن فى ذلك مصلحتنا الحقيقية .

وذلك لا ينفى فى نفس الوقت قدرة بعض الأرواح الراقية على التنبؤ أحياناً بنبوءات صحيحة عن المستقبل ، قد تبدو لها أحياناً كما لو كانت أحداثاً ماضية أو حاضرة ، لأن الزمن كما قلنا غير محدود هناك بحسب المفهوم الأرضى . كما لا ينفى ذلك

أن ثمة أرواحاً قد تعمد أحياناً إلى إخبارنا عن هذه الأحداث قبل وقوعها — بغير استبعاد احتمال الخطأ .

وقد عرف التاريخ نبؤات معينة عن أحداث مستقبلة سجلها ثقات ، صدق بعضها ولم يصدق البعض الآخر . ولذا فإن باب احتمال الإنباء الصادق يعتبر الآن من أهم أبواب البار اسيكولوجى وألزمها للتنقيب فى أغوار طبيعة الإنسان ، وصلتها بهذا الكون الذى إليه تنتمى وفيه تعيش ، وفيه تتردد دواماً بين وجود منظور وآخر غير منظور .

عن صلة نظرية النسبية بهذا كله

وهذه الملكات النادرة الخارقة للمألوف مرتبطة الآن فى أبحاثها بعدة علوم ومناهج تتراوح بين الفيزياء والرياضة والنفس . فمنها ابتداء نظرية النسبية التى أثبتت بالمعادلات الرياضية صحة وجود الكون الرباعى الأبعاد ، الذى تختلط فيه أبعاده الأربعة : وهى الطول والعرض والارتفاع والزمن ، أو تندمج فيما بينها اندماجاً تاماً يؤدى إلى إلغاء حواجز المكان والزمان فى نفس الوقت [1] .

كما ذهبت هذه النظرية إلى أن أحداث الحاضر مرتبطة بأحداث الماضى برابطة العلة بالمعلول ارتباطاً لا يمكن تجاهله أو نفيه . ولذا ذهب أينشتين إلى أن الأحداث التى نمر بها فى حياتنا اليومية موجودة أو بالأدق مسطورة فى سفر الحياة مسبقاً قبل مرورنا بها .

وبالتالى فإن هذه الأحداث هى بمثابة محطات القطار المعدة مقدماً لأن يمر بها قبل وصوله إليها . وقد أثار هذا القول نقاشاً جوهرياً حول مبدأى الحرية والجبرية . والراجح الآن هو أن هذا القول لا يتعارض مع وجود قدر ما من حرية الاختيار فى السلوك الإنسانى ، لأن المستقبل متذبذب ومتراوح ، ويتوقف على أحداث الحاضر التى تتوقف بدورها على سلوكنا فى الحياة .

وقد تناولت بعض جوانب هذا الموضوع فى كتاب « التسيير والتخيير : بين

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٥٠ — ٦٨ .

«الفلسفة العامة وفلسفة القانون» وعرضت فى بابه الأخير لهذه المشكلة الكبرى فى ضوء أبحاث البار اسيكولوجى البالغة الأهمية فى إلقاء بعض الأضواء عليه[١] .

ولهذه الاعتبارات مجتمعة فإن تفسير الأحلام التنبؤية التى قد يحلم بها الإنسان أحياناً أخذ بدوره يتلقى أضواء جديدة على العلم فى ضوء «نظرية النسبية» وظواهر «الإدراك عن غير طريق الحواس» *

ولذا قال أينشتين عندما وضع نظريته المشهورة فى النسبية عبارة مأثورة عنه : وهى أنه «إذا كانت نظريتى فى النسبية صحيحة ، فلابد من وجود قوى للإدراك رباعية الأبعاد» . أى قوى للإدراك تتحدى حواجز الزمان والمكان ، وهى نفسها قوى الإدراك التى يبحثها علماء البار اسيكولوجى تحت وصف ظواهر «الإدراك عن غير طريق الحواس» E.S.P. .

* * *

وهذه الأحلام التنبؤية سلم سيجموند فرويد بحدوثها ، حتى قبل أن يتحول من الفلسفة المادية عن الوجود إلى الفلسفة الروحية ، لكنه عندما طولب بتعليلها أجاب بأنه «لا يوجد عندى لها أى تعليل» !

فلم يقل فرويد مثلا إن العقل الباطن للإنسان يعلل حدوثها ، وذلك لأن من المسلم به فى علم النفس التقليدى ، الذى وضع فرويد أسسه — وقبل أن يتناوله هو بأى تعديل — أن كل ما يصل إلى اللاشعور ينبغى أن يصل إليه أولا عن طريق الشعور أو العقل الواعى[٢] .

وفى هذه الأحلام التنبؤية من المقطوع به أنه لم يحدث أى مرور «لواقعة الحلم» من الشعور إلى اللاشعور . ذلك لأنها متصلة بأحداث مستقبلة لا صلة لها فى كثير من الأحيان بأحداث ماضية أو حاضرة[٣] . وكذلك الشأن أيضاً فى جميع ظواهر

---

(١) راجع منه بوجه خاص ص ٤٨٣ — ٥١٤ من الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٤ .

(٢) راجع ما سبق فى ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٣) فلا تقبل التفسير مثلا بالتداعى الطليق أو المقيد للمعانى ، ولا بالتنفيس عن الرغبات المكبوتة ، ولا بالمتاعب النفسية أو العضوية التى قد يعانى منها الحالم .

التوقعات أو التنبؤات الصحيحة التى قد يقدمها بعض الوسطاء فى اليقظة أو فى حالات الغيبوبة التامة أو شبه الغيبوبة . فكلها يصدق عليها ما يصدق على ظاهرة « الأحلام التنبؤية » من معضلات التفسير الطبيعى والرياضى للظاهرة موضع البحث والتحقيق .

ولكن من المقطوع به الآن فى أبحاث البارا سيكولوجى أن هذه الملكات موجودة ، ومنها ملكة إمكان التوقع أو التنبؤ الصحيح بعدة سبل متنوعة ، لأن صحة هذه التوقعات تجاوزت ما قد تسمح به معادلات الاحتمالات .

وكان التجاوز يتفاوت فى مداه بين وسيط وآخر لكنه وصل فى بعض الحالات إلى معدلات سببت الحيرة عند الباحثين ، خصوصاً عند اتباع منهج التحليل الرياضى فى محاولة تعليل الظاهرة .

فمعادلات الاحتمالات لا تسمح بنسب تتجاوز ١٧–٢٠٪ من الصدق فى الحلم التنبؤى ، أو من التوقع الصحيح فى اليقظة ، لكنها فى اختبارات بعض الوسطاء جاوزت أحياناً ٧٠ أو ٨٠ ٪ أو ربما أكثر . وهى نسب لا تسمح بها معادلات الاحتمالات المسلم بصحتها فى مناهج الرياضة الحديثة ، والتى تستخدم على أوسع نطاق فى أبحاث البارا سيكولوجى والسيكوترونات[٢] .

---

(١) لمزيد راجع كتاب « الجديد فى التكوين الروحى وأسرار السلوك بعد التحول من السيكولوجى إلى البارا سيكولوجى » القاهرة ١٩٨٢ الجزء الأول ص ٥١٢ – ٥٥٠ .
الناشر دار الفكر العربى .

(٢) راجع ما سبق بهذا الشأن فى صفحة ٣٤ – ٣٧ .